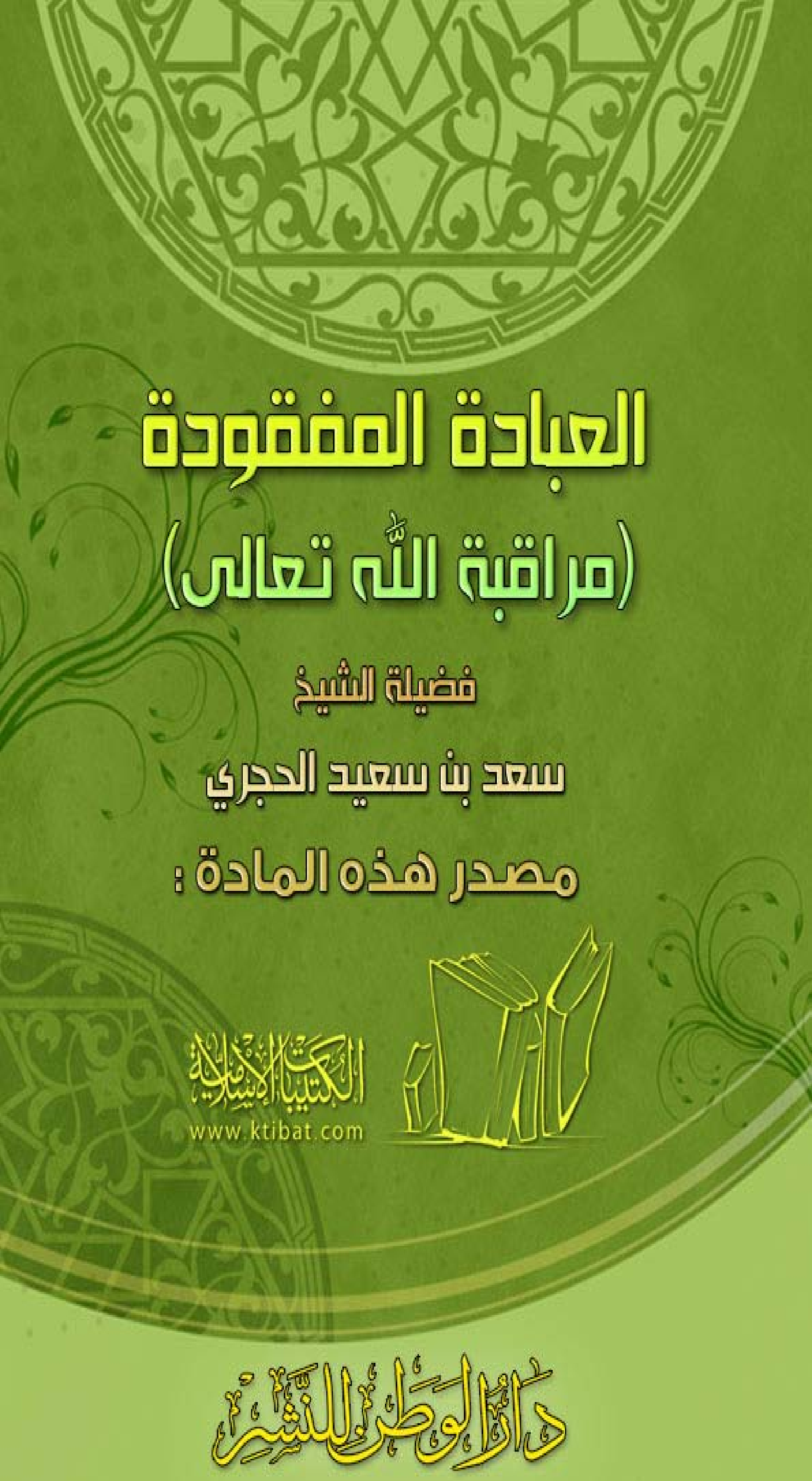

العبادة المفقودة
(مراقبة الله تعالى)
فضيلة الشيخ
سعد بن سعيد الحجري
مصدر هذه المادة :
الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com
دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله ﷺ، وعلى آله وأصحابه تسليمًا كثيرًا، ومن سار على نهجه وسلك طريقه إلى يوم القيامة.

أما بعد:

فمن المعلوم أن الله تعالى خلقنا لأعمال نبيلة ولحكم جليلة، لم يخلقنا عبثًا، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: **115**]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: **27**].

و لم يوجدنا للغذاء والسقاء والكساء والدواء فقط؛ فإن هذه حياة العموم، وليست حياة الخصوص.

ليست المقاييس بالأطعمة ولا بالأشربة، فالرسول ﷺ كان يربط على بطنه الحجر والحجرين من شدة الجوع وعدم وجود الطعام.

وليست المقاييس بالمناصب، فقد قال ﷺ فيما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه: «**رب أشعث مدفوع الأبواب لو أقسم على الله لأبره**»(1).

(1) مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب فضل الضعفاء والخاملين (2622).

وليست المقاييس بالصحة، فإن أيوب عليه السلام بقي مريضًا 18 سنة، فلم يخلقنا الله للغذاء ولا للكساء ولا الدواء، لأن هذه حياة الكافرين وحياة الدواب، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ **[محمد: 12]**.

ويقول ﷺ: «**شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم، يأكلون ألوان الطعام، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشدقون في الكلام**»[1].

وإنما خلقنا الله تبارك وتعالى لعبادته، وأوجدنا لطاعته، وجعل العبادة تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال والأعمال الظاهرة والباطنة، وجعل العبد بالعبادة يسمو ويرتفع الدرجات العالية، جعله بالعبادة يشرف أعظم شرف.

يقول الله تعالى عن شرف العبودية في حق الملائكة: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ **[الأنبياء: 26]**، فلم يقل ملائكة، وإنما قال: ﴿عِبَادٌ﴾، فوصفهم بالعبودية، ووصفهم بالكرم بعد العبودية، فاستحقوا أن يكونوا من أهل الكرم بالعبودية، فقال: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾.

وقال عن هذا الشرف، شرف العبودية في حق الأنبياء:
﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي

[1] رواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الغيبة ص (27)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (3705).

وَالأَبْصَارِ﴾ [ص: 45]، فلم يقل واذكر أنبياءنا أو اذكر رسلنا، وإنما قال: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا﴾.

وذكر هذا الشرف في حق رسولنا ﷺ، **فوصفه بالعبودية في أربعة مواطن شريفة:**

* **الموطن الأول: عند الإسراء والمعراج** ، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1] عرج به إلى السماء السابعة، ثم أسري به إلى المسجد الأقصى، ثم أسري به إلى المسجد الحرام في ليلة واحدة، إنه شرف عظيم استحقه بالعبودية لأنه قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾.

* **الموطن الثاني: عندما نزل القرآن عليه** ، وهو أعظم الكتب التي نزلت، وهو الحفظ في الدنيا والآخرة، شرفه بهذا الكتاب لأنه كان عبدًا، قال تبارك وتعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1].

* **الموطن الثالث: عند الوحي إليه** ، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم: 10].

* **الموطن الرابع: عند قيامه بالدعوة**، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: 19].

* بل ويا أحبتي شرف الله أولياءه بالعبودية، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ

﴿قَالُوا سَلامًا﴾ [الفرقان: 63]، لم يقل خلق الرحمن، بل قال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ فوصفهم بأشرف صفة فقال سبحانه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾.

وبلين ﷺ شرف العبودية في قيام الليل؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه، قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله! أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**يا عائشة، أفلا أكون عبدًا شكورًا**»(1).

والعبودية أيها الإخوة هي وظيفة الدنيا من أولها إلى آخرها وظيفة العبد في دنياه حتى الموت، ليس معه وظيفة غيرها، قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إلا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: 56–58].

* العبودية هي حق الله على العباد فإن لله على خلقه حقًا، وقد جعل لعباده عليه حقًا تكرُّمًا وجودًا وتفضلاً؛ فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: بينا أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا أخرة الرحل فقال: «**يا معاذ**» قلت: لبيك يا رسول الله ﷺ وسعديك. ثم سار ساعة ثم قال: «**يا معاذ**» قلت: لبيك رسول الله وسعديك. ثم سار

(1) البخاري كتاب التهجد باب قيام النبي ﷺ الليل (1130)، مسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة (2820) واللفظ له.

ساعة ثم قال: «**يا معاذ بن جبل**» قلت: لبيك رسول الله وسعديك. قال: «**هل تدري ما حق الله على عباده؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**» ثم سار ساعة ثم قال: «**يا معاذ بن جبل**» قلت: لبيك رسول الله وسعديك. قال: «**هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**حق العباد على الله أن لا يعذبهم**»[1].

* العبودية هي رسالة الرسل إلى أممهم: فما من رسول أرسل إلى أمه إلا وأمرهم بعبادة الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ **[النحل: 36]**.

* العبودية هي الملك الأخروي الذي لا يزول ولا يحول ولا يفنى؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة لو شئت لسارت معي جبال الذهب، جاءني ملك إن حجزته لتساوي الكعبة فقال إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك إن شئت نبيًا عبدًا وإن شئت نبيًا ملكًا، قال فنظرت إلى جبريل، قال فأشار إلي أن ضع نفسك، قال فقلت نبيًا عبدًا**» قال: فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك لا يأكل متكئًا، يقول: «**آكل**

---

(1) البخاري كتاب اللباس باب إرداف الرجل خلف الرجل (5967). مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا (30).

كما يأكل العبد ، أجلس كما يجلس العبد »[1]، فاختار العبودية على الملك لأنها الملك الدنيوي والملك ألأخروي الذي لا يفنى ولا يزول.

* العبودية هي الحرز والحفز والحصانة والوقاية من العدو اللدود المبين المترصد الذي وقف لنا بكل طريق، العدو الذي جاءنا من كل جانب، العدو الذي طلب من ربه الإنظار من أجل إغوائنا جميعًا.

كيف نتحصن بالعبودية؟ نكون عبيدًا لله ولا نكون عبيدًا للنفس، ولا للمال، ولا للأهل، ولا للولد، ولا للزوجة، ولا للعادة، ولا للعرف، وإنما نكون عبيدًا لله عز وجل، ونخلص العبودية لله ونحرص ونحفظ بهذه العبودية من العدو، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ **[الحجر: 42]**، ويقول: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ **[ص: 82، 83]**.

* العبودية أيها الإخوة سبب من أسباب مغفرة الذنوب، وما أكثر الذنوب، من منا يستطيع أن يحصي ذنبه؟ لا أحد يستطيع أن يحصي ذنوبه.

ذنوبنا كثيرة، ولو كان لأحدنا في كل يوم ذنب واحد وعمره ستون سنة، بكم ذنب يلقى ربه؟ بواحد وعشرين ألف ذنب، هذا إذا كان ذنب واحد في كل يوم، ومن لا يذنب في اليوم إلا ذنبًا واحدًا؟ الذنوب كثيرة، وأسباب مغفرة الذنب أن يكون الإنسان

---

(1) رواه أبو يعلي وإسناده حسن.

عبدًا لله عز وجل، قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الحجر: 49]، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: 53].

* لكن إذا أردنا أن نؤدي العبودية على أكمل وجه وإذا أردنا أن نحفظ بها الدنيا، وإذا أردنا أن نحفظ بها العمل، ونحفظ بها العمر، ونسعد بها في الآخرة، ونرتفع بها الدرجات العالية، ونرضي بها الرحمن، ونغضب بها الشيطان، فلا بد لنا أن نراقب الله تعالى مراقبة دقيقة جليلة.

إذًا: ما العبادة المفقودة؟

«مراقبـــة الـــــرب»

وحتى نعلم تقصيرنا في مراقبة الله تعالى فلننظر أحوال الناس؛ هل مراقبة الرب في المسجد تكون مثل مراقبة الرب في البيت؟ أم أن المراقبة في المسجد مرتفعة، وفي البيت منخفضة، لننظر لهم في سياراهم، في أعمالهم، في أسواقهم، في شوارعهم، المراقبة عندهم منخفضة انخفاضًا شديدًا، بل لربما كانت المراقبة مفقودة عند كثير من الناس، حتى في الصلاة يوم أن يكبر العبد ثم ينصرف من صلاته إلى ضيعته ودنياه في أعظم عمل وأقرب عمل يتقرب به العبد إلى ربه عز وجل.

وإذا أردنا أن نؤدي العبودية على الوجه المطلوب فإنه لابد أن نراقب الله مراقبة دائمة دقيقة جليلة، بأن نعبد الله وكأننا نراه، فإن كنا لا نراه فإنه يرانا، يجب أن نراقب الله مراقبة دائمة، فلا نضيع المراقبة إذا دخلنا بيوتنا مع عتبات الأبواب، بل نراقبه في البيوت كمراقبته في المساجد، ولنحذر أن نضيع المراقبة يوم أن نركب السيارة ونذهب بها يمنة ويسرة وننظر يمنة ويسرة، فلا نحارب الله بهذه النعمة التي وهبنا إياها.

* يجب أن تكون المراقبة لله دائمة، نراقبه في كل زمان؛ لتصلح لنا جميع الأزمنة، فلو راقبنا الله، لصلحت لنا الأزمنة، وكانت جميع أزمنتنا صالحة، لا نراقبة في زمن دون زمن، نراقبه في الليل كله أوله وآخره، وفي النهار كله أوله وآخره، نراقبه تبارك وتعالى؛ لأنه حي لا يموت، ومن كانت حياته دائمة فيجب أن تكون مراقبته دائمة،

ولأنه لا ينام ومن كان لا ينام وجب أن تكون مراقبته دائمة، ولأنه الذي نعمه علينا دائمة، ومن كانت نعمه دائمة وجب أن تكون مراقبته دائمة.

* ويجب أن نراقبه في كل مكان؛ لتصلح لنا جميع الأمكنة؛ لأننا إذا راقبناه في البيوت، صلحت لنا البيوت، وإذا راقبناه في الشوارع، صلحت الشوارع وإذا راقبناه في المساجد صلحت المساجد، وإذا راقبناه في الأسواق صلحت السواق، ويجب أن نراقبه في جميع الأمكنة لتصلح لنا جميع الأمكنة، فلا نراقبه في مكان دون مكان، بل نراقبه في المنزل.

الله الله يا أهل المنازل: في مراقبة الله في منازلكم؛ لتكون محاضن خير، ولا تكون محاضن شر. نراقبه في كل مكان؛ في المنزل وفي المسجد وفي السوق وفي الشارع والعمل؛ لأنه الذي يعلم ما في السماوات وما في الأرض، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: 7]، وقال: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: 59].

* يجب علينا أن نراقب الله على كل حال لتصلح لنا جميع الأحوال، ولا نراقب في حال دون حال، بل نراقبه في جميع

الأحوال، نراقبه في الشباب؛ لأن مقدار درجة المراقبة عند الشباب منخفضة؛ ليسمح لنا الشباب أن نقول إن درجة المراقبة عندهم منخفضة، لكن الواقع يفرض علينا أن نقول هذه الكلمة:

أيها الشباب: يا من أمدك الله بالصحة والعافية والقوة والفتوة والجمال، ألا تراقب الملك العلام! ألا تشكر الله على هذه النعمة العظيمة.

* كذلك نراقبه في الهرم: لأن كثيرًا من كبار السن لا يزال في عتوه، وهو يرى الشيب قد لاح في وجهه، واحدودب ظهره، وهو لا يزال بعيدًا عن المراقبة، رق عظمه، وبدأ جسمه يرتعش، ولا يزال بعيدًا عن المراقبة، لنراقبه في الشباب وفي الهرم، وفي الصحة والسقم، وفي الغنى والفقر، وفي الفراغ والشغل، وفي اليقظة والمنام، وفي القيام والقعود وعلى جنب، نراقبه على كل حال؛ لأنه الذي لا تخفى عليه خافية ولا تغيب عنه غائبة، واعلموا أيها الإخوة:

المراقبة لا تتحقق إلا بثلاثة أمور:

1- أن توقن أن الله تعالى يعلم ما في صدركقبل أن يكون على لسانك، فالله يعلم ما في صدور الجميع، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾ **[ق: 16]**، كان فضالة بن عمير الليثي قبل إسلامه لما دخل النبي ﷺ مكة وأخذ يطوف بالكعبة وقال لبلال: «**اصعد على الكعبة وأذن**» أول أذان يدوي في جنبات مكة بعد فتحها فصعد على الكعبة وأخذ ينادي: الله أكبر، وكان فضالة بن

عمير ممن تضرر بهذا الأذان وهو يطوف حول الكعبة ينظر إلى النبي ﷺ وهو يقول في نفسه: هذا الذي فرق جماعتنا، وشتت أحزابنا، وسفه أحلامنا، وعاب آلهتنا، ثم قال في نفسه: لو أنني ضربته بهذا السيف في يدي لأرحت الناس منه — على حد زعمه — ثم يدور دورة أخرى، ويقول مثل هذا الكلام في صدره فيلتفت إليه النبي ﷺ ويقول: «**أفضالة!**» قال: نعم، قال: «**ما الذي حدثت به نفسك؟**» من الذي نقل وقائع ما في صدر فضالة؟ إنه الله.

فيا من أسر في قلبه سريرة سيئة لإخوانه: ألا تتقي الله رب العالمين؟ إن الله يظهرها وإن أخفيتها، إما في فلتات اللسان أو في قسمات الوجه، وإما في التعامل، إن الله لا تخفى عليه خافية، قال ﷺ: «**استغفر ربك يا فضالة** »، قال: أستغفر الله. والله لا يعلم بما في صدري إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وما أخبرك بما في صدري إلا الله، وأسلم فضالة بن عمير الليثي.

ولو أخرج الله ما في صدور بعضنا لبعض لأُحرج بعضنا من بعض.

2- أن نوقن بأن الله يسمع كلامنا الذي نتكلم به ويحصيه ،

وعلينا أن نسأل أنفسنا: هل أسمعنا الله ما يرضى به أو يغضب له؟ وأنه قد وظف معنا من يحصي كلامنا. قال الله عز وجل: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18]، ولا يتحقق لنا الإسلام الحق حتى يسلم الناس من ألسنتنا وأيدينا؛ فعن عقبة بن عامر قال قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**»[1].

(1) الترمذي كتاب الزهد باب ما جاء في حفظ اللسان وصححه الألباني برقم (2406).

وإذا راقبنا الله في الكلام سلمت لنا الدنيا والآخرة، فإن العبد يتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى يكتب بها رضوانه إلى يوم يلقاه. وإن الأعضاء كلها تكفر اللسان وتقول: «اتق الله فينا فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»(1).

3- أن توقن بأن الله يراك، ويرى عملك الذي أنت تعمل .

قال الله تعالى: ﴿**الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [الشعراء: 218-220]، وقد أمر الله تعالى بالمراقبة فقال تعالى: ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾ [الحجر: 99]، وأمر بها النبي ﷺ في كل زمان وفي كل مكان وعلى كل حال. فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت، و أتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»(2).

اللهم الطف بحالنا يا ربنا، نراقبك في المسجد وننسى المراقبة إذا خرجنا من المسجد.

لو أن الناس راقبوا ربهم في منازلهم هل ستبقى الأجهزة المحرمة في البيوت؟ الجواب: لا.

لو أن الناس راقبوا ربهم هل يأخذ إنسان مال إنسان آخر؟ الجواب: لا.

---

(1) الترمذي كتاب الزهد باب ما جاء في حفظ اللسان وحسنه الألباني برقم (2407).

(2) الترمذي كتاب البر والصلة باب ما جاء في معاشرة الناس وحسنه الألباني برقم (1987).

لو أن الناس راقبوا ربهم هل يوجد في المحاكم معاملات من ظالم على مظلوم؟ الجواب: لا.

لكن ضعف المراقبة في كل شيء مع أننا مأمورون بالمراقبة على كل حال كما يقول ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»، وقد ورد أن امرأة راودها رجل عن نفسها فأبت فأكرهها، فأرادت أن تعظه بأعظم موعظة وهي مراقبة ربه، لأنه لم يجن هذه الجناية إلا لأنه لم يراقب الله ونسي أن الله يراه، وبعد الإجبار قالت له: أغلق جميع الأبواب، فأغلق جميع الأبواب المحسوسة التي بينه وبين الناس (الأبواب البشرية) ونسي أن الباب الذي بينه وبين الله مفتوح أو مكشوف، فقالت له: هل أغلقت جميع الأبواب؟ قال: لم يبق باب إلا وأغلقته، فقالت له: بقي باب مفتوح لم تغلقه! قال: أي باب؟! قالت: بقي الباب الذي بيننا وبين الله مفتوح، ألا تخاف الله؟ .. فارتعد وخاف ووجل فتركها خوفًا من الله الذي يراه حيث ما كان، وتاب هذا الرجل واستقام حاله.

فينبغي أن نعلم يقينًا أن هذا الباب مفتوح إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ويجب أن تعلم أن ما يسترك من الله ظلام ولا سحاب ولا سقف ولا غطاء، أنت مكشوف لله عز وجل على الدوام، ألا تستحي من الله! لو كان أحدنا مع رجل صالح هل سيسمعه الكلام المحرم؟ ستقولون: لا، بل يترك الكلام المحرم من أجل هذا الرجل الصالح، وهل سيعمل السيئة مع الرجل الصالح؟ لا، لا يعلمها من أجل الرجل الصالح. قال رجل يا رسول الله: أوصني.

قال: «**أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي من الرجل الصالح من قومك** »[]، «**والحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى وأن تذكر الموت والبلى وأن تراقب العلي الأعلى**».

قال رجل لإبراهيم بن أدهم: أوصني قال: «أوصيك بخمس ولكن احفظها، وينبغي أن تعيها، وأن تعمل بها، والإنسان عند الموعظة مطالب بأربعة أمور:

1- السماع.

2- الوعي.

3- العمل.

4- دعوة الناس إلى الموعظة.

كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**نضر الله امرأً سمع منا شيئًا فبلغه كما سمع، فرب مُبلِّغ أوعى من سامع**»[]، قال هذا الرجل لإبراهيم بن أدهم:

أعطني الأولى:

1- قال إذا أردت أن تعصي الله، فلا تأكل من رزقه، قال: هل هناك رزق غير رزق الله عز وجل؟ قال: فكيف تأكل من رزق الله

() صححه الألباني في صحيح الجامع برقم (2541).

() الترمذي كتاب العلم باب ما جاء في جاء في الحث تبليغ السماع وصححه الألباني برقم (2657).

وتعصيه؟! رزق أنعم به الله عليك، فتحارب الله بهذا الرزق! أليس الناس يحاربون الله بنعمه؟ هل هذا كفران أم إحسان؟ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان، خيره إلينا نازل، وشرُّنا إليه صاعد، يتحبب إلينا بالنعم، ونتبغض إليه بالمعاصي.

قال أعطني الثانية:

2- قال إذا أردت أن تعصي الله فاعصه في غير أرضه، ابحث عن أرض ليست لله واعصه فيها، قال: كل الأرض لله، قال: فكيف تعصي الله في أرضه؟ أنعَمَ عليك بالأرض وذلَّلها ومهدها وجعل فيها النبات، ومع ذلك تعصيه في أرضه التي أنعم بها عليك.

قال أعطني الثالثة:

3- قال إذا أردت أن تعصي الله فاعصه في مكان لا يراك فيه، قال: وأنى أجد مكانًا أختفي فيه؟! كل شيء مكشوف أمام الله عز وجل، فقال: فكيف تعصي الله وهو يراك؟

قال أعطني الرابعة:

4- قال إذا أردت أن تعصي الله وجاء ملك الموت يريد أن يقبض روحك فاطلبه أن يمهلك حتى تتوب. قال: إنه لا يوافقني ولا أدري متى يأتيني، ولربما جاءني على غرة. قال: فاستعد له، فأنت لا تدري متى يقبض الروح، أيقبضها على عمل صالح أم يقبضها على عمل سيء، استعد للموت.

قال أعطني الخامسة:

5- قال إذا أردت أن تعصي الله وجاءتك الزبانية يجرونك إلى النار فلا تذهب معهم، قال: إنهم لا يوافقوني؛ يقول الله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: 30-32]، قال: فيجرونني على وجهي إلى النار. قال: فاستعد قبل أن تندم، فاستفاد الرجل من هذه المواعظ الخمس، واستقامت أموره وعاد إلى رشده وصوابه.

صفات أهل المراقبة لله:

1- أنهم أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، محبوبون في الدنيا ومحفوظون في الآخرة، لا يحزنون على ما مضى من أعمارهم في الدنيا، ولا يخافون من مستقبل حياتهم في الآخرة، آمنون لا يخافون ولا يحزنون، قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: 62-64].

2- أنهم أهل البشرى ؛ لهم البشرى في الحياة الدنيا ولهم البشرى عند الموت، ولهم البشرى في الآخرة.

* **أما بشراهم في الدنيا فثلاث بشارات:**

* **البشارة الأولى:** البشارة بعظيم الثواب على العمل الصالح.

* **والبشارة الثانية:** البشارة برفع الدرجة لهم عند الله.

* **أما البشارة الثالثة:** فهي البشارة لهم بمغفرة ذنوبهم.

* **أما البشارة عند الموت** فهي بشارتهم بالجنة.

* **أما البشارة في الآخرة** فهي البشارة بالنعيم الأبدي والخلود السرمدي في الجنة قال الله تعالى: ﴿**لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ **[يونس: 64]**.

3- رفعة درجاتهم عند الله تعالى لأنهم وصلوا إلى أعلى درجة في الإيمان، وأعلى درجة في الدين وهي الإحسان؛ لأن أعمالهم تصعد وليست أعمالاً تنزل، قال تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَللهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ**﴾ **[فاطر: 10]**، ومما يروى أنه كان عند أحد الشيوخ طلاب كلهم من كبار السن إلا طالبًا واحدًا صغير السن، وكان الكبار يرون أن الصغير لا يجلس معهم، فقالوا للشيخ: نريد أن تبعد عنا هذا الصغير وإلا نأتي بأولادنا، فاختبرهم ليخبرهم أن هذا الصغير عنده مراقبة أفضل من مراقبتهم، فقال لهم: هذه سكين وهذا طائر، وأريد من كل واحد منكم أن يذهب إلى مكان لا يراه فيه أحد فيذبح الطائر ويعود به إليَّ، فكل واحد منهم أخذ الطائر والسكين وذهب إلى مكان لا يراه فيه أحد وذبح طائره وعاد به مذبوحًا إلا هذا الشاب، فقد عاد بطائره حيًا. قال الشيخ لهؤلاء: أذبحتم طيركم؟ قالوا: نعم، وجدنا مكانًا لا يرانا فيه أحد، فكل منا عمد إلى طائره، فذبحه وعاد به مذبوحًا. قال للشاب: وأنت هل ذبحت

الطائر؟ فقال: لا، لم اذبحه قال: و لم؟ قال: لأنني بحثت عن مكان لا يراني فيه أحد فلم أجد مكانًا لا يراني فيه أحد لأنني مكشوف أمام الله في كل مكان. قال لهم: هكذا أدنيته؛ لأنه صاحب مراقبة لله عز وجل.

4- **أنهم الأحرار** الذين تحرروا من عبودية النفس والمال والولد والدنيا، وجعلهم الله أحرارًا بالعمل الصالح في الدنيا والآخرة وفي القبر:

* **أحرار في الدنيا بالأعمال الصالحة**، يعملون الأعمال الصالحة المتنوعة، لا يقيدون أنفسهم بعمل واحد لأن من الناس من هو محبوس على الذكر، ومن الناس من هو محبوب على الصلاة ما له نصيب في الصدقة ولا من الصيام ولا القيام ولا عمل البر الآخر، أما أهل المراقبة فهم أحرار في كل طاعة، لهم في كل طاعة سبق.

* **وفي القبر حريتهم** في مسكنهم على مد البصر ليسوا محبوسين فيضيق عليهم القبر، وفي نورهم على مد البصر وفي نعيمهم يفتح لهم باب إلى الجنة.

* **وحريتهم في الآخرة**، لهم الجنة وآخر من يدخل الجنة له مثل الدنيا عشر مرات، وقد حررت المراقبة أهلها من الرق؛ فها هو عمر رضي الله عنه وأرضاه أراد أن يقرر هذه الحقيقة، فخرج في يوم من الأيام فوجد راعي غنم، فقال له عمر: أعطني شاة. قال هذا الراعي: أنا أجير عليها ولست صاحبها، قال أعطني الشاة، وقل لصاحبها: أكلها الذئب، وعمر رضي الله عنه يريد أن يختبر مراقبة هذا الراعي لربه

تعالى، فقال الراعي: أقول لصاحبها: أكلها الذئب، ولكن ماذا أقول لله إذا عدت إليه وسألني عنها؟ فأعجب به عمر فذهب، فتعرف على سيد هذا الراعي ثم اشتراه منه فأعتقه، ثم قال: أعتقتك هذه المراقبة في الدنيا وأرجو أن تعتقك في الآخرة.

5- أنهم أهل الحسنى وأهل الجنة وأهل النظر إلى وجه الله الكريم، قال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: 26]، أما الحسنى: فهي الجنة، أما الزيادة: فهي النظر إلى وجه الله الكريم، كما فسرها النبي الكريم ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم: عن صهيب عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة-** قال: **يقول الله تبارك وتعالى: تريدو ن شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟** قال: **فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل**»[1]، وفي رواية أخرى زاد: «ثم تلا هذه الآية ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾»[2].

6- أنهم أهل صلاح وإصلاح لغيرهم، أهل صلاح في نفوسهم وأهل إصلاح لغيرهم، أهل صلاح في نفوسهم لأن قلوبهم ملئت بمراقبة الله عز وجل، وسلمت من كل شائبة، وألسنتهم ملئت

([1]) مسلم كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (181).

([2]) الترمذي كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة يونس وصححه الألباني برقم (3105)، أحمد (332/4).

بمراقبة الله عز وجل، فسلمت واستقامت، واستنارت ونجت، وجوارحهم ملئت بمراقبة الله عز وجل فحبسوها على طاعة الله، وحبسوها عن معصية الله وراقبوا الله تعالى على كل حال، وما يروى أن امرأة جميلة في يوم من الأيام أرادت أن تظهر لزوجها جمالها فنظرت في المرآة وقالت لزوجها: أترى هذا الوجه لا يفتن أحدًا إذا رآه؟ قال: نعم. لا يفتن رجلاً واحدًا، قالت: من هو؟ قال: عبيد بن عمير «رجل صالح» يدرس الناس ويعلم الناس ويتقرب إلى الله عز وجل، وكان يجلس في المسجد الحرام، قال: أما عبيد بن عمير، لا تستطيعين أن تفتنيه. قالت: أتأذن لي أن أفتنه؟ قال: نعم. وهذا القول يدل على الدياثة؛ لأنه لا بد أن يكون لدى الإنسان غيرة على محارمه، وكل دابة تغار على أنثاها، إلا الخنزير فإنه لا يغار على أنثاه؛ أما بقية الدواب فتغار على إناثها، قال لها: اذهبي إليه «وهذه من وسائل الإفساد»، فذهبت إليه المرأة متحجبة حتى وصلت إليه وهو في المسجد، فقالت له: أيها الشيخ لي إليك حاجة، قال: ماذا تريدين؟ فكشفت وجهها، وإذا به كفلقة القمر، فنكس رأسه إلى الأرض ممتثلاً أمر الله في قوله: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: 30]، ومن المؤسف أن بعض الناس يقول: معي ممرضة ولا أستطيع غض البصر، لابد أن أنظر إليها، نقول له: أين أنت أيها الطبيب من الآية: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: 30]؟ فالآية لعموم الأمة حتى ولو كنت طبيبًا لا

يجوز للطبيب أنه ينظر إلى الممرضة، هذا حكم عام للطبيب وغيره، الشاهد: أن عبيد بن عمير غض بصره، نكس رأسه إلى الأرض خجلاً وحياءً من الله، قالت هذه المرأة: لي إليك حاجة، فاقض حاجتي، قال: يا أمة الله اسمعي مني هذه النصائح! وأعطاها أربع مواعظ في المراقبة وهو منكس رأسه إلى الأرض.

1- قال يا أمة الله : أرأيت لو نزل بك ملك الموت ليقبض روحك، أكنت ترغبين أننا قضينا حاجتنا منك، قالت: لا والله. فذكرها بالموت الذي غفلت عنه ونسيته.

2- قال يا أمة الله : أرأيت لو أدخلت إلى قبرك وجاءك منكر ونكير، وسألاك في قبرك، أكنت ترغبين أننا قضينا حاجتنا منك، قالت: لا والله. ذكرها بالقبر بعد الموت وما فيه من الحساب.

3- قال يا أمة الله: لو حشرت في القبر وأصبحت في عرصات يوم القيامة وكنت لا تدرين: أتنجين أم لا تنجين؟ ولا تعلمين: أيثقل الميزان أم يخف؟ وهل تأخذين الكتاب باليمين أم بالشمال؟ أكنت ترغبين أن نكون قد قضينا حاجتنا منك؟ قالت: لا والله.

4- قال يا أمة الله : لو وضع الصراط على متن جهنم، وكنت لا تعلمين: أتجوزينه أم لا تجوزينه؟ «بمعنى أتعبرين الصراط أم لا تعبرينه؟ » أكنت ترغبين أننا قضينا حاجتنا منك؟ قالت: لا والله، وكفى.

وأخذت الموعظة من القلب مأخذَها، وأول عمل عملته بعد هذه الموعظة:

1- أسدلت الحجاب على وجهها، وليت سائر النساء يراقبن الله في الحجاب، ويحافظن عليه؛ فإنه عبادة من امتثلته أجرت، ومن كشفته عوقبت.

2- ولت طائعة، وقد جاءت عاصية.

3- ولت تائبة، وقد جاءت مذنبة.

4- رجعت إلى بيتها لتقر فيه ولا تخرج منه إلا لضرورة؛ عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾.

5- بكت حتى وصلت بيتها بكاء التوبة النصوح.

6- قالت لزوجها: أنت بطال، ونحن بطالون، الناس سباقون إلى الجنة وإلى الخيرات ونحن لا نزال متأخرين، قال هذا الرجل: كنت أريد أن تفسدي عبيد بن عمير فأفسدك، - والله لم يفسدها بل أصلحها - انظر إلى تصور بعض الناس لكنه أصلحها، ورجعت إلى ربها تائبة.

واعلموا أيها الأحبة: أننا إذا اتصفنا بهذه الصفات وحققنا المراقبة لله عز وجل أثمرت المراقبة الثمرات التالية:

ثمـــرات المراقبـــــة

1- إتقان العمل: العمل يحتاج إلى إتقان، الصلاة التي نصليها عندنا فيها خلل، ليست صلواتنا متقنة، من منا يضمن كمال صلاته مائة في المائة؟ وما دام أنها نقصت عن المائة ففيها خلل، ليس فيها الإتقان، أما أمور الدنيا فعندنا إتقان فيها، ونحتاج إلى إتقان في أمور الآخرة، لو راقبنا الله مراقبة جليلة لأتقنا العمل، ولأتينا به على الوجه الأكمل أو المطلوب، ولو أتقن العمل لصلح العمل، وصلح العامل «صاحب العمل» وصلحت الدنيا والآخرة وفتحت أبواب الخير وغلقت أبواب الشر، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**»[1].

وقال عن إتقان الصلاة: عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه ذكر الصلاة يومًا فقال: «**من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نورٌ ولا برهانٌ ولا نجاةٌ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف**»[2]، وسبب حشرهم مع هؤلاء الأربعة لأن فرعون أشغله الملك، وهامان أشغلته الوزارة، وقارون أشغله المال، وأبيّ بن خلف أشغلته التجارة، ويقول ﷺ عن الذي أتقن الصدقة: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يقبل الصدقة**

(1) حسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (1880).
(2) أحمد (169/2) وحسنه الأرناؤوط.

ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره، حتى أن اللقمة لتصير مثل أحد»[1].

2- الإخلاص: لو راقبنا الله لأخلصنا له، وجعلنا الصلاة له، والنسك له، والحياة له، والموت له، والقول له، والعمل له، والتعامل له، والظاهر له، والباطن له.

* بالإخلاص لله تبارك وتعالى يقبل الله العمل.

* بالإخلاص يفوز العبد بالمطلوب.

* بالإخلاص ينجو العبد من المرهوب.

قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ **[الكهف: 110]**.

الإخلاص: وهو جعل العمل لله؛ فإن الإخلاص شرط من شروط قبول العمل، ومن فقد الإخلاص رد عمله، فعن أبي هريرة ﵁ قال حدثني رسول الله ﷺ: «**أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية؛ فأول من يدعو به رجل جمع القرآن ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ﷺ قال: بلى يا رب. قال فماذا عملت فيما عُلِّمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبت. وتقول له**

(1) صححه الألباني في صحيح الجامع برقم (1902).

الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال: إن فلانًا قارئ. فقد قيل ذاك؛ ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم، وأتصدق؛ فيقول الله له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذاك. ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله له: في ماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت. فيقول الله تعالى له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذاك » ثم ضرب رسول الله ﷺ ركبتي، فقال: «**يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة**»[1].

ويقول ﷺ عن الذي أتقن صيامه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»[2]. ويقول ﷺ عن الذي لم يتقن صيامه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ربُ صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر والتعب**»[3].

---

(1) الترمذي كتاب الزهد باب ما جاء في الرياء والسُّمعة وصححه الألباني برقم (2382).

(2) البخاري كتاب الصوم باب من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ونية (1901)، مسلم كتاب صلاة المسافرين باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح (1778).

(3) أحمد «ج2» (8878).

ويقول ﷺ عن الذي أتقن حجه: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حجَّ هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**» متفق عليه [1].

المهم أن تتقن العمل، ليس العمل مقاولة، بعض الناس يعتبر الصلاة مقاولة يريد أن ينهيها بأي وسيلة. لا، لابد من إتقان العمل.

3- الخوف من الله عز وجل: يجب أن تمتلئ القلوب خوفًا من الله تبارك وتعالى، لأننا نلمس أن القلوب ممتلئة من خوف البرد فكم نلبس من الثياب عند شدة البرد، والقلوب ممتلئة من خوف الجوع لذا فالبيوت مليئة بالأطعمة، والقلوب مليئة من الخوف من العري فالثياب واللباس متوفرة، لكننا نريد أن تكون القلوب مليئة بالخوف من الله تبارك وتعالى، وإذا امتلأت القلوب بخوفه عملت بأمره، وتركت نهيه، وصدقت خبره، وطبقت حكمه، ووجل منه القلب، وذرفت العين، واقشعر الجسد، وكان الذنب عندنا آنذاك كجبل نخشى أن يقع على رؤوسنا، لا ينظر الخائف إلى صغر المعصية ولكن لينظرْ إلى عظمة من عصاه.

ولقد ضمن الله عز وجل للخائفين جنتين: قال الله عز وجل: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: 46]، وضمن لهم الأمن

(1) البخاري كتاب الإحصار وجزاء الصيد باب قول الله تعالى (فلا رفث ولا فسوق...) (1723) مسلم كتاب الحج باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة (1350).

الذي لا ينقطع، والأمن مهم في واقع الناس اليوم، لأن الإنسان لا يستلذ بالحياة ولا بالشراب ولا بالطعام ولا بالصحة إلا بالأمن، ولذا دعا إبراهيم عليه السلام بالأمن قبل أن يدعو بالرزق فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 1267]، نسأل الله عز وجل أن يمُن على هذا البلد الطيب المبارك بالأمن والإيمان، ونسأله سبحانه وتعالى لكل من أراد به سوءاً أن يجعل كيده في نحره، إنه على كل شيء قدير.

الأمن مهم، وأعظم مكافأة يكافأ بها أهل الجنة الأمن المطلق، الأمن الدائم الذي لا خوف معه، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يروي عن ربه جل وعلا قال: «**وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين، إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة**»[1]، وإذا امتلأت القلوب بالخوف من الله عمل العبد لأخراه، وقد تجلت هذه الثمرة في حياة الأولياء، كانوا يخافون ألا يقبل الله منهم عملهم، قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62].

4- الحفظ في الدنيا والحفظ في الآخرة:

* **أما الحفظ في الدنيا:** فمن الانحراف والزيغ والضلال والفتن وقرناء السوء، والاغترار بالدنيا ومن كل مهلكة.

([1]) ابن حبان (406/2) وحسنه الأرناؤوط.

* **أما الحفظ في الآخرة** ؛ فمن عذاب الله عز وجل ولا أدل على هذا الحفظ من مراقبة يوسف لربه، فقد حفظه الله بهذه المراقبة، وجنبه الله الفتنة التي وردت في سورة يوسف عليه السلام، وقد تعرض يوسف عليه السلام لعدة فتن، ونحن عندنا نصف فتنة، وسقطنا سقوطًا عظيمًا من نصف فتنة، وبعضنا من ربع فتنة، ويوسف عليه السلام تعرض لعدة فتن، لكنه كان صاحب مراقبة لله، فحفظه الله من هذه الفتن العديدة ما كأنها مرت عليه فتنة، هكذا الذين يراقبون الله يحفظهم، والله، لو راقب العبد ربه لحفظه كما ذاك وعده.

الفتن التي تعرض لها يوسف

1- أنه كان شابًا: والشاب عنده قوة في كل شيء، عنده قوة في النوم، وقوة في الأكل، وقوة في الحركة، وفي النظر، وفي السمع، وفي الشرب، وفي كل شيء عنده فيه قوة.

2- أنه كان أعزب، والفتنة إلى الأعزب أقرب.

3- أنه كان غريبًا، والغريب قد يعمل أعمالاً ولا يبالي.

4- أنه كان رقيقًا «مملوكًا»، وإخوانه باعوه وهو حر بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين.

5- دعته امرأة ذات منصب، ومنصبها يجعلها أشد فتنة.

6- دعته امرأة ذات جمال، وجمالها يزيد من الافتتان بها.

7- أنها غلقت الأبواب، وكانت هي التي غلقت الأبواب. ما الفرق بين أن يغلق الرجل الأبواب وأن تغلق المرأة الأبواب؟ إذا

أغلقت المرأة الأبواب كانت الفتنة أشد من أن يكون هو الذي أغلقها.

8- أنها هي التي دعته إلى نفسها ، ولم يدعها هو إلى نفسه، وهناك فرق بين أن تدعوه هي، أو يدعوها هو.

9- حسد إخوته له.

10- ألقوا به في الجب.

هذه هي الفتن التي تعرض لها يوسف ﷺ، لكنه قال: معاذ الله، قال: أعوذ بالله أن أفعل ذلك والله يراني ويسمعني ويعلم حالي، سبحان الله، كيف تهون المراقبة عند بعض الناس لو كان عند طفل عمره 5 سنوات لم يستطع أن يفعل أية معصية أمامه، ويقترف الذنب والله يراه، ولا يستحي منه سبحانه، يستحي من طفل ولا يستحي من الله عز وجل، قال: معاذ الله، قال الله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ **[يوسف: 24]**.

* وكذلك الحفظ في الآخرة من العذاب، فالسبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله يعني كلهم مراقبون لله:

1- إمام عادل: أي عدل في رعيته.

2- شاب نشأ في طاعة الله، ولم ينشأ في طاعة الهوى والشهوة.

3- رجل قلبه معلق بالمساجد، غير معلق بالمزرعة والتجارة ولا بالملعب ولا الوظيفة.

4- رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، مراقبين لله لم تكن محبتهم لدنيا ولا لوظيفة.

5- رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه من شدة مراقبة الله.

6- رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله.

7- رجل أنفق نفقة فلم تعلم شماله ما أنفقت يمينه، جعلها صدقة خفية يريد بها وجه الله تبارك وتعالى حفظ لأنه صاحب مراقبة.

فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شمال ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**»[1].

يقول حاتم بن الأصم بنيت توكلي على أربعة أمور:

1- علمت أن الله ناظر إلي فأنا أراقبه.

2- وعلمت أن رزقي لا يأخذه أحد غيري فأنا مطمئن به.

3- وعلمت أن عملي لن يعمله أحد غيري فأنا مشغول به.

4- وعلمت أن الموت يطلبني فأنا مستعد له.

(1) البخاري كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد (660) واللفظ له، مسلم كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة (1031).

5- إجابة الدعاء:

لأننا بحاجة إلى الله وليس منا أحد يستغني عن الله لحظة واحدة، حاجتنا إلى الله دائمة، إذًا، فنحن نحتاج إلى إجابة الدعاء، وقضاء الحاجة، ونحتاج إلى المدد من الله، وأن إجابة الدعوات لا تكون إلا لمن راقب ربه مراقبةً صادقةً، ولا أدل على إجابة الدعاء من قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت أول المطر إلى الغار، دخلوا الغار وانحدرت صخرة بأمر الله، فسدت عليهم فم الغار، فأصبحوا داخل صخرة مصلتة، توسلوا إلى الله بمراقبتهم له.

* **الأول**: راقب الله في والديه، فانفرج ثلثها.

* **الثاني**: راقب الله في عرض بنت عمه، فانفرج ثلثها الثاني.

* **الثالث**: راقب الله في الأمانة فحفظها ونماها، فانفرج ثلثها الثالث.

وفرج الله عنهم كربهم بمراقبتهم له، راقبوه حال الرخاء فأجاب دعاءهم حال الشدة، وهذا يدل على أنه ينبغي أن لا ترافق إلا صالحًا، لأنك إن رافقت قرين سوء لن تنجو حتى لو كان معك عمل صالح، ألم تر أن الثلاثة النفر الذين انحدرت عليهم الصخرة وسدت فم الغار لم يستطيعوا أن يخرجوا برصيد اثنين منهم حتى جاء الثالث برصيده من الأعمال الصالحة، بمعنى أن الصخرة لم تنفرج بكاملها إلا لعمل الثلاثة واستطاعوا الخروج.

فالله الله، لا تصاحب إلا صالحًا يدلك على الخير، ويرشدك إلى الصواب، ويحذرك من المعصية، نسأل الله أن يرزقنا الهداية والصلاح

والصحبة الصالحة في كل مكان وزمان، وفي كل حال؛ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم؛ فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالاً، فنأى بي في طلب شيء يومًا، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما، حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما؛ اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة؛ فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج.** قال النبي ﷺ: **وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي فأردتها عن نفسها فامتنعت مني، حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه؛ فتخرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه؛ فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.** قال النبي ﷺ: **وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم، غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت**

منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله أد إلي أجري؛ فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق؛ فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي؛ فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله، فاستاقه فلم يترك منه شيئًا، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه؛ فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون»[1].

6- أداء عبادة الشكر: التي أمر بها إذ قال: **﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]**، وقد ضمن الله تعالى للشاكر المزيد، وضمن له الرضوان، ولا أدل على هذه الثمرة من قصة الثلاثة: «الأبرص والأقرع والأعمى »، وأشد هؤلاء الثلاثة بلاءً الأعمى، وهو أكثرهم مراقبة لله تعالى، اختبروا بالبلاء فنجح الأعمى، وابتلوا بالرخاء فنجح الأعمى، اختبروا بالبلاء يوم أن أصيب الأبرص بالبرص، والأقرع بالقرع، والأعمى بالعمى، جاء ملك بأمر الله إلى الأبرص، قال: ماذا تريد؟ قال: أريد لونًا حسنًا، قال: وماذا تريد من المال؟ قال: أريد ناقةً عشراء؛ أصبح عنده لون حسن ومال حسن، ثم ذهب إلى الأقرع قال: ماذا تريد؟ قال: أريد شعرًا حسنًا، قال: وماذا تريد من المال؟ قال: أريد بقرة؛ فأعطي بقرة ناتجًا؛ أصبح عنده شعر حسن ومال

(1) البخاري كمتاب الإجارة باب من استأجر أجيرًا فترك أجره فعمنل فيه المستأجر فزاد... (2272) واللفظ له، مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال (2743).

حسن، ثم جاء عند الأعمى فقال: ماذا تريد أيها الأعمى؟ قال: أريد أن يرد الله إلي بصري، فهذا الأعمى وحد الله وما ضيع التوحيد. كم من شخص ضيع التوحيد؛ يقول: لولا الله وأنت، ويقول: أنقذتني، إنما أنقذك الله. انظر لهذا ألأعمى وهو أشدهم بلاء قال: أريد أن يرد الله إلي بصري، مسح عينيه فرد الله بصره وأعطي أقل المال وهي شاة، نما المال وأصبح الأبرص بلون حسن وعنده مال بالآلاف من الإبل، وأعطي الأقرع شعرًا حسنًا والآلاف من البقر، وأعطي الأعمى بصره الآلاف من الغنم، والاختبار الأول انتهى: هل يشكرون أو لا يشكرون؟

ثم جاء الملك إلى الأبرص وقال: أريد ناقة واحدة أتبلغ بها في سفري، قال: إن الحقوق كثيرة. قال الأبرص: الحقوق كثيرة، قال: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص فقيرًا؟ قال: لا، جحد نعمة الله وما شكر الله، قال: لا، ورثت هذا كابرًا عن كابر، أبًا عن جد، قال: صيرك الله إلى ما كنت إليه، فقيرًا أبرص، وهذه الدعوة دعوة ملك لا ترد.

جاء إلى الأقرع وقال له: أريد بقرة واحدة من آلاف البقرات، قال: الحقوق كثيرة، قال: كأني أعرفك، ألم تكن أقرع فقيرًا؟ قال: لا، ورثته كابرًا عن كابر، قال: صيرك الله إلى ما كنت إليه أقرع فقير.

جاء عند الموحد -وهذا يدعونا ألا نغتر ولا نيأس إذا رأينا قلة أهل الاستقامة فهؤلاء ثلاثة، المستقيم منهم واحد، واثنان غير مستقيمين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ **[يوسف: 103]**.

قال للأعمى: أريد شاة واحدة، قال: خذ ما شئت، ودع ما شئت، المال مال الله، والفضل فضل الله، قال: بارك الله في مالك، لقد رضي الله عنك وسخط عن صاحبيك.

وهؤلاء الثلاثة: الأبرص والأقرع والأعمى جاءهم الملك في المرة الأولى، أي الاختبار الأول الذي قال فيه : ماذا تريد أو ما الذي تريد؟ وهذا اختبار ضراء، وجاءهم في المرة الثانية، أي الاختبار الثاني الذي قال فيه : أريد. وهذا اختبار سراء، ولم ينجح في الاختبارين إلا الموحد وهو الأعمى.

فعن أبي هريرة ﵁ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا لله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكًا فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن، قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه، فأعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل، – أو قال: البقر، هو شك في ذلك أن الأبرص والأقرع قال أحدهما: الإبل، وقال الآخر: البقر – فأعطي ناقة عشراء؛ فقال: يبارك لك فيها؛ وأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا، قد قذرني الناس؛ قال: فمسحه فذهب وأعطي شعرًا حسنًا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، قال: فأعطاه بقرة حاملاً، وقال يبارك لك فيها، وأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: يرد الله إلي بصري، فأبصر به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاة والدًا، فأنتج هذان،**

وولد هذا، فكان لهذا واد من إبل، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من الغنم، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين تقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرًا أتبلغ عليه في سفري، فقال له: إن الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرًا فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر؛ فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا، فرد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأعمى في صورته فقال: رجل مسكين وابن سبيل، وتقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاةً أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله بصري، وفقيرًا فقد أغناني، فخذ ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله؛ فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك»[1].

7- صلاة الذرية والزوجة: من راقب ربه كافأه بصلاح ذريته وزوجه ومما يدل على ذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصدر أمرًا بأن لا يخلط اللبن بالماء حتى لا يغش الناس، وذات ليلة وهو يعس

([1]) البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل (3464)، مسلم كتاب الزهد والرقاق باب الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (2946).

في شوارع المدينة ويتفقد الرعية، وإذا به يسمع أمًا تقول لابنتها: امزجي اللبن بالماء من أجل أن يكثر، قالت البنت: أمير المؤمنين أصدر أمرًا أن لا نفعل ذلك، قالت الأم: وأين أمير المؤمنين؟ ليس عندنا الآن، افعلي، قالت البنت: والله ما كنت أطيعه حال حضرته، وأعصيه حال غيابه. لابد أن نراقب الله في الأمير. عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للذي معه، علم الباب، أي ضع علامة نعرفه في الصباح، علم الباب، وفي الصباح تعرف أهل البيت وإذا بها امرأة صالحة غير متزوجة، أراد عمر أن يكافئها فجمع أولاده وقال: من يريد منكم الزواج؟ قال عاصم: أنا، قال: فاذهب فاخطب هذه البنت وزوجها بعاصم بن عمر وحصل لها الفخر، فتزوجت بعاصم بن عمر وأنجبت من عاصم بنتًا وأنجبت هذه البنت عمر بن عبد العزيز الذي ملأ الله به الأرض عدلاً.

* * * *

واعلموا أيها الأحبة أن الله وظف معنا ثلاثة موظفين

الموظفون الذين وظفهم الله علينا:

1- الموظف الأول: الملائكة الكرام الكاتبين يسجلون عليك ويحصون عليك إحصاء دقيقًا، لو سجل عليك يوميًا عشر صفحات في الشهر ثلاثمائة صفحة، وفي السنة 12 مجلداً، لأن ثلاثمائة صفحة مجلد وفي السنة 12 مجلداً، وفي عشر سنوات 120 مجلدًا، وفي عشرين سنة 240 مجلدًا، وفي ثلاثين سنة 360 مجلدًا، وفي 40 سنة 480 مجلدًا، وفي 50 سنة 600 مجلدًا، وفي 60 سنة 720 مجلدًا... وهكذا. وهذه الكتب لا تغادر صغيرة ولا كبير إلا أحصتها. كم من المجلدات في ظهورنا؟ والله، إن الملائكة لا يظلمونك بحرف واحد ويكتبون أعمالك بالتشكيلة وبالنقطة، كتاب يضبطون عليك إحصاء دقيقًا.

2- الموظف الثاني: الجوارح، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ **[فصلت: 20-24]** العين تشهد بما رأت، والأذن بما سمعت واليد بما بطشت والرجل بما مشت واللسان بما تكلم، وخصماؤك جوارحك فاتق الله فيها، إنها تحصي عليك.

3- الموظف الثالث: الخلق جميعًا من الأشجار والجبال والتراب، والجن والإنس والدواب وغيرها؛ فعن أنس رضي الله عنه قال: «قال مروا بجنازة فأَثنَوْا عليها خيراً فقال النبي ﷺ: **وجبت، وجبت، وجبت**، ومروا بجنازة فأثنوا عليها شراً فقال النبي ﷺ: **وجبت، وجبت، وجبت**، فقال: عمر فداك أبي وأمي مر بجنازة فأثنى عليها خيرا فقلت وجبت، وجبت، وجبت مر بجنازة فأثنى عليها شرا، فقلت وجبت، وجبت، وجبت فقال: **من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض**»[] قال أبو سعيد الخدري لعبد الرحمن بن صعصعة: «فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة قال أبو سعيد سمعته من رسول الله ﷺ»[].

هل توقن أن المراقبة عبادة، ولكنها مفقودة عند كثير من الناس؟! هل تمتلئ القلوب بمراقبة علام الغيوب؟ هل تصلح أحوال الناس بمراقبة الله؟ لعل وعسى!

ونسأل الله أن يسدد القول والعمل، وأن يجعلنا وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

() أحمد (186/3) قال الأرناؤوط إسناده صحيح على شرط الشيخين.

() البخاري كتاب الأذان باب رفع الصوت بالنداء (609).

الفهـــــرس

* * * *